الإنـابـــة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فمن اتَّقى ربه أكرمه بين الأنام؛ وأسعده مولاه على الدَّوام.

أيها المسلمون:

أفضل الخلق وأهداهم أتمّهم عبودية لله، وسرور القلب وانشراح الصدر في إنابة العبد إلى الله والإقبال عليه والاستعانة به. والرُّجوع إلى الله والإنابةُ إليه عبادة عظيمة من سنن الأنبياء والمرسلين، كما قال سبحانه عن داود عليه السلام: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [صٓ: ٢٤]، وقال عن سليمان عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [صٓ: ٣٤]، وقال عن شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هُود: ٨٨]، وقال عن نبيِّنا محمَّد ﷺ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشّورىٰ: ١٠]، وأثنى الله على خليله إبراهيم عليه السلام لاتصافه بالإنابة إليه والرُّجوع إليه في كل أمر، قال

سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هُود: ٧٥]، ومن دعاء الخليل عليه السلام: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المُمتَحنَة: ٤]، والمنيبون إلى الله هم خير من يصحبهم المرء في حياته، يقول سبحانه: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمَان: ١٥].

والإنابة إلى الله سبحانه هي مفتاح السَّعادة والهداية قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرّعد: ٢٧]، والبشارة لأهل الإنابة ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ [الزُّمَر: ١٧]، ولا يعتبر بالآيات ولا يتعظ بالعبر إلا المنيب إلى ربِّه، قال عزَّ وجل: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [قَ: ٨]، وهو المتذكر بنزول النِّعم ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غَافر: ١٣].

والإنابة إلى الله مانعة من عذاب الله ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزُّمَر: ٥٤]، والجَنَّة أُعدَّت نزلاً للقلب الخاشع المنيب، قال سبحانه: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [قَ: ٣١، ٣٢]، وأمر الله جميع الخلق بالإنابة إليه والرُّجوع إليه، قال سبحانه: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢]، وقد جمع الله بينها وبين التَّوكُّل فقال: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرّعد: ٣٠]، ومنزلة التوكل قبل منزلة الإنابة، فالتَّوكُّل وسيلة وهي غاية، فالعبد يتوكل في حصولها، وحقيقتها الرُّجوع إلى الله، وهي منزلة أعلى من التَّوبة، فالتَّوبة إقلاعٌ عن الذَّنب وندمٌ على ما فات وعزمٌ على عدم العودة إليه، والإنابة تدل على ذلك وتدل على الإقبال على الله بالعبادات ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هُود: ١١٤].

ومن أكثر الرُّجوع إلى الله كان الله مفزعَه عند النوازل والبلايا والفواجع، وحقيق بالمرء أن ينيب إلى ربه وأن يحاسب نفسه على ما

سلف وعلى ما اقترف من عصيان، يقول الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «إنَّ العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة همته». والمؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزها، له شأن وللناس شأن، واعمل بوصية النَّبي ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**» (رواه البخاري). ومن كانت الآخرة همّه؛ كانت همته في تحصيل الزاد الصالح، وإذا استيقظت القلوب استعدت للآخرة، قال بعض السلف: «ما نمت نوماً قط فحدثت نفسي أني أستيقظ منه». ومن اجتهد في محاسبة نفسه ولجمها عن العصيان نجا في الآخرة من الندامة والخسران.

أيها المسلمون:

حقٌّ على الحازم أن لا يغفل عن زلات نفسه وخطراتها وخطواتها، بل يقودها إلى ما يقربها إلى ربها، فالمحافظة على الصَّلوات جماعة في بيوت الله من شعائر الإيمان، والدعوة إلى الله تنير البصيرة، وبذكر الله تلين القلوب، قال سبحانه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨]، ومجالسة العلماء والصالحين وملازمة دروسهم من أسباب خشية الله ومراقبته ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فَاطِر: ٢٨]، وبرُّ الوالدين مفتاح السَّعادة، وصلة الرَّحم بركة في الوقت والمال، والمال الحلال سبب في صلاح الأبناء وإجابة الدُّعاء، وقصر الأمل دافع للعمل، وتذكر الموت خير واعظ، وزيارة المقابر والتأمل في أحوال الموتى تذكير بالآخرة، والتطلع إلى سير السلف يهذب النَّفس ويحدوا للعمل، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «ومن تأمَّل أحوال الصحابة وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن، وكان الصديق رضي الله عنه يقول: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن، وكان إذا قام إلى الصَّلاة كأنه عود من خشية الله».

والرشيد من خاف على نفسه الوقوع في الزَّلل أو الإصرار على

الخلل، فالصُّحبة السَّيئة تورد المهالك، وإطلاق عنان البصر في المحرمات مما يشاهد في الفضائيات والطرقات يضعف زكاء النَّفس، وإهمالُ الأبِ إصلاحَ أهلِ بيته تفريطٌ في الأمانة، واتباع الهوى والشهوات يورث النَّدامة، وإطلاق اللِّسان بالكذب وفي أعراض المسلمين يُظلم القلب، وإشغال النَّفس بما لا يعنيها حرمان لها مما يرفع درجاتها، يقول إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله ـ: «من علامة إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه»، والتقصير في إنكار المنكر بالحكمة ضعف في النصح، ودواء السيئات كثرة الاستغفار، وترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة، واغتنم الأعمال الصالحة قبل أن يحول بينك وبينها حائل، يقول النَّبي ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحَّتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**» (رواه الحاكم). والموفق هو المنيب إلى الله بالرجوع إليه من العصيان، المكثر من أنواع الطاعات والقربات.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عِمرَان: ٣٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

شهر الله المحرم من أعظم الشُّهور عند الله، نصر الله فيه موسى عليه السلام وقومه على فرعون وملائه. صيام أيامه فاضلة، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصَّلاة بعد الفريضة صلاة الليل**» (رواه مسلم)، ومِنْ شُكْر الله على نعمه: استفتاح العام بعمل من أفضل الأعمال الصالحة بصيام أفضل أيام غُرَّة العام يوم عاشوراء، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: قدم النَّبي ﷺ المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء فقال لهم: «**ما هذا اليوم الذي تصومونه؟**» قالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه، فقال النَّبي ﷺ: «**نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه**» (متفق عليه)، وصيامه كفارة لخطايا عام قبله، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أحتسب على الله أن يكفّر السَّنة التي قبله**» (رواه مسلم)، فيستحب للمسلمين أن يصوموا اليوم العاشر وأن يصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده عملاً بهديه عليه الصَّلاة والسَّلام.

عباد الله:

إنَّ قتل النُّفوس البريئة التي عصم الله دماءها من أعظم الجرائم، وإن إزهاق تلك الأرواح جرم شنيع ومن السَّبع الموبقات، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المَائدة: ٣٢].

وإن ما يحدث في هذه الأزمان من التفجير الذي يهلك فيه الحرث والنسل، ويعمّ به الخراب، وتزهق معه النفوس البريئة من أعظم الإفساد في الأرض، وإن مثل هذه الجرائم لتشتد عظمتها، وتعظم بشاعتها، إذا وقعت في شهر الله المحرم، قال قتادة ـ رحمه الله ـ: «الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزراً من الظُّلم فيما سواه، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً، ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء»، فعظِّموا حرمات الله وأشهره الحرم تظفروا.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه...